

صفحة من تاريخ علاقات السعودية البريطانية: مشروع اتفاقية الدفاع المشترك (١٩٤٨)

أ. د. أحمد عبدالرحيم مصطفى*

بريطانيا وابن سعود

تنبهت بريطانيا إلى صعود نجم عبدالعزيز آل سعود منذ استيلائه على الإحساء في عام ١٩١٣ ووصول أملاكه إلى شواطئ الخليج العربي. وكان ابن سعود منذ عام ١٩٠٦ قد أبدى رغبته في الدخول في نظام «المهادنة» الذي فرضته بريطانيا على منطقة الخليج، بمعنى أن يقبل مندوبا سياسيا بريطانيا وينضم إلى الترتيبات البريطانية الخاصة بالقرصنة وتجارة الرقيق والحرب البرية والبحرية ويتعهد بعدم التخلي عن أي جزء من أراضيه لدولة أخرى غير بريطانيا ويقبل إشراف بريطانيا على علاقاته الخارجية. إلا أن بريطانيا آثرت - قبل نشوب الحرب العالمية الأولى - ألا تلتزم بشيء، وذلك بسبب اتجاهها إلى عدم التورط في الشؤون الداخلية لشبه الجزيرة العربية وتكريس اهتمامها لسواحل الخليج، خاصة وأنها لم تكن تود إغضاب الدولة العثمانية التي كانت تعتبرها صاحبة السيادة على نجد، ونتيجة لذلك اضطر عبدالعزيز لأن يوقع معاهدة مع الحكومة العثمانية (١٥ مايو ١٩١٤) وذلك لخشيته أن يهاجم الأتراك أراضيه من ناحية البحر انتقاماً منه لطرده حامياتهم من الإحساء.

وبعد نشوب الحرب خطبت كل من بريطانيا والدولة العثمانية ود ابن سعود وطالبته بتعزيز مجهودها الحربي. إلا أنه أثار الميل إلى بريطانيا التي أبدى لها استعداداً للارتباط الكامل بها بشرط أن تحميها من الغزو التركي من ناحية البحر وأن تسري شروط الاتفاقية بعد انتهاء الحرب وأن تقوم بريطانيا بدور الحكم في حالة نشوب أي نزاع بينه وبين أمراء سواحل الخليج. وفي خلال المفاوضات التي جرت بين الطرفين أصر عبدالعزيز على بعض التحفظات التي تطلق يديه في العمل بحيث كانت معاهدة دارين «الموقعة في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥» (١) أكثر معاهدات

١- عن هذه المعاهدة والمفاوضات التي جرت بشأنها راجع:

- Troeller, The Birth Of Saudi Arabia Frtrk Cass, Lonon {1976}, chap. III, PP.74- 117.

- Busch, Britain, India and the Arabs. 1914- 1921, {University Of California Press, 1971} PP. 234-5.

بريطانيا الخليجية مرونة خاصة وأنها اختلفت عن هذه المعاهدات من الناحية العملية إلى حد كبير ولم ترسم حدوداً لأملاك ابن سعود. فقبل ذلك كانت اتفاقيات بريطانيا مع مشايخ الخليج لا تلزمها إلا بالتدخل في المنازعات البحرية، ولكن ارتباطها الجديد مع ابن سعود أقحمها في شؤون وسط الجزيرة العربية وبذلك سجل تحولاً مهماً في سياسة بريطانيا التقليدية. وبمقتضى اتفاقية دارين اعترفت الحكومة البريطانية بأن نجد والإحساء والقطيف وجبيل وما لهذه المناطق من موان على ساحل الخليج من ممتلكات ابن سعود وورثته. كما اعترفت به حاكماً مستقلاً لقبائل هذه المنطقة وتعهدت بمساندته في وجه أي تدخل أو اعتداء خارجي وبألا تكون هذه المنطقة موضع بحث عند تقسيم الإمبراطورية العثمانية وأن تدفع له معونة شهرية وتقدم له الأسلحة. وفي مقابل ذلك تعهد ابن سعود من جانباً بألا يتخلى عن أو يرهن - أي جزء من أراضيه أو يبيع أي امتياز لأي دولة أجنبية إلا بموافقة الحكومة البريطانية وبألا يهاجم حلفاءها أو يساعد أعداءها ولو أنه لم يلزم نفسه بالاشتراك الفعلي في العمليات العسكرية.

وقد سجلت معاهدة دارين بدء التحالف البريطاني - السعودي، وإن لم يبذل عبدالعزيز جهداً حريباً فعالاً لمساعدة بريطانيا خلال الحرب، خاصة وأنها رمت بثقلها إلى جانب منافسة الشريف حسين بن علي الذي قاد الثورة العربية ضد الدول العثمانية بمساعدة بريطانيا مما جعل دور ابن سعود ثانوياً بالنسبة إلى جهود وأهمية منافسه الهاشمي. وبانتهاء الحرب بدأت متاعب الشريف حسين مع بريطانيا نتيجة للخلافات التي نشبت بينهما حول تفسير الوعود التي قطعت له خلال الحرب - فقد اعترفت به بريطانيا وحلفاءها ملكاً على الحجاز، في الوقت الذي أصبح فيه ابنه فيصل ملكاً على سوريا. أما عبدالعزيز فقد قرر الاعتماد على نفسه فضم عسير في عام ١٩٢٠، ثم قضى على إمارة آل رشيد في حائل في عام ١٩٢١ وضمها إلى أملاكه، وفي العام التالي ضم الجوف الواقعة في أقصى شمالي شبه الجزيرة العربية. وفي تلك الأثناء قضى الفرنسيون على مملكة فيصل في الشام - وحتى تحافظ بريطانيا على سمعتها في العالم العربي، ورجبة منها في جعل الهاشميين نقطة ارتكاز لنفوذها في المنطقة، قررت في عام ١٩٢١ تنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق وتنصيب أخيه عبدالله أميراً على شرق الأردن - وبذلك أصبحت أملاك عبدالعزيز عرضة للتطويق الهاشمي من الشمال والغرب. مما مهد السبيل للصدام بين آل سعود والهاشميين خاصة وأن معاهدة لوزان التي سوت المشكلات المرتبطة بانتهار الإمبراطورية العثمانية تجاهلت شبه الجزيرة العربية، في الوقت الذي لم ترسم فيه اتفاقيات الانتداب على كل من العراق وشرق الأردن حدوداً لكل منها. ولتسوية مشكلات الحدود توسطت بريطانيا في عقد مؤتمرين في عام ١٩٢٢ أولهما في الكويت لم يصل إلى نتيجة تذكر والثاني في العقير. وفي المؤتمر

الأخير قام سيربرسي كوكس - الذي اشترك في المؤتمر بصفته حكماً - برسم الحدود بين نجد وكل من العراق والكويت، وهي الحدود التي لا تزال قائمة حتى الوقت الحاضر.

وفي صيف عام ١٩٢٤ بدأ الصدام بين نجد والحجاز، وهو الصدام الذي التزمت بريطانيا الحياد إزاءه مع محاولتها القيام بالوساطة بين الطرفين المتنازعين. وحين بدأ لها فشل وساطتها سعت إلى تأمين مواصلاتها في الشرق الأوسط بتأكيد سيطرتها - من خلال إمارة شرق الأردن - على معان والعقبة. لهذا وجهت تحذيراً إلى ابن سعود حتى لا يمتثل هذين المركزين الهامين ويهدد إمارة عبدالله. وحين بدأ أن الحجاز يوشك أن يسقط في يد ابن سعود قررت بريطانيا بدء المفاوضات لحسم الحدود بين نجد وشرق الأردن والمشاكل القائمة بين نجد والعراق - وفي أواخر عام ١٩٢٥ تم توقيع اتفاقيتي حداء وبحرة اللتين توصلتا إلى تسوية نهائية لمشاكل الحدود بين كل من العراق وشرق الأردن وبين العراق، كما تم اقناع ابن سعود بالتخلي عن معان والعقبة. وفي ديسمبر ١٩٢٥ دخل ابن سعود جدة وبعد يومين أعلن انتهاء الحرب الحجازية - النجدية - وكان الملك حسين قد تنازل عن الحكم لابنه على الذي مال به انتصار ابن سعود، ثم لجأ إلى أخيه فيصل في العراق. وفي ٨ يناير ١٩٢٦ أعلن أعيان الحجاز ولاءهم لابن سعود ونصبوه ملكاً على الحجاز وسلطاناً لنجد وتوابعها، وخلال الشهور الثلاثة التالية اعترفت به بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي وهولنده. وفي ٢٠ مايو ١٩٢٧ وقعت معاهدة جدة بين ابن سعود وبريطانيا. وقد ألغت هذه المعاهدة اتفاقية ١٩١٥ واعترفت «بالاستقلال التام المطلق لملك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» (مادة ١) وفيها تعهد ابن سعود بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية (مادة ٦). كما نصت المعاهدة على أن «يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر وبأن يسعى بكل ماله من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر» (مادة ٢)(١).

١- ألغت معاهدة جدة معاهدة دارين، ونصت على أن يعمل بها لمدة سبع سنوات ابتداء من تاريخ إبرامها وعلى بقائها نافذة إذا لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر، قبل انتهاء السنوات السبع ب ستة أشهر، أنه يريد إبطال المعاهدة وعلى عدم اعتبارها باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه إبطالها من أحد الفريقين إلى الفريق الآخر.

العداء الهاشمي - السعودي :

ورغم الصداقة التي قامت بين عبدالعزيز وبريطانيا فإنه أعتقد أنها كانت تفضل عليه الهاشميين الذين لم يغفروا له هزيمتهم على يديه ، وكان لايزال يراودهم الأمل في تأليب القبائل عليه بهدف فصل الحجاز عن أملاكه (١) تمهيدا لضعضة قوته ثم القضاء عليه في النهاية وتكرزت شكوك عبدالعزيز ومخاوفه على العراق أقوى الدولتين الهاشميتين . وربما كانت مخاوف عبدالعزيز وشكوكه من الأسباب التي جعلته في عام ١٩٣٣ يمنح امتياز التنقيب عن النفط في أملاكه لشركة ستاندرد أوف كاليفورنيا الأمريكية لا إلى شركات انجليزية ، مما أذن بازدياد النفوذ الأمريكي بالتدرج في المملكة العربية السعودية (٢) على حساب النفوذ البريطاني ، ولو أن المملكة العربية السعودية حافظت على مطلق حريتها في التعامل مع البلدان الأخرى واتباع سياسات لا تتمشى باستمرار مع أهداف أمريكا أو بريطانيا في الشرق الأوسط . وفي خلال الحرب العالمية الثانية أبدى عبدالعزيز تعاطفه مع الغرب ، خاصة وأنه كان يتلقى المساعدات المالية من كل من بريطانيا والولايات المتحدة .

وقد حاولت بريطانيا في أواخر مراحل الحرب أن تتبنى مشروع توحيد العرب بشرط أن يقوموا من جانبهم بالترتيبات الخاصة بتنفيذ الوحدة العربية . وحينئذ بادر عبدالله بن الحسين إلى التطلع إلى توحيد سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين فيما عرف باسم مشروع سوريا الكبرى (٣) في حين تقدم السياسي العراقي نوري السعيد بمشروع الهلال الخصيب الذي كان يهدف إلى توحيد سوريا والعراق باعتباره نواة للوحدة العربية الشاملة . وقد لعب مشروعا سوريا الكبرى والهلال الخصيب دورا هاما في المشاورات التي تمخضت عن قيام الجامعة العربية - فقد عبر الوفد السعودي عن رأي الملك عبدالعزيز الذي أبدى استعداده للتعاون مع سائر البلدان العربية في المسائل الاقتصادية والثقافية مع تأجيل البحث في موضوع التعاون السياسي إلى أن تتغير الظروف القائمة ، وأبدى حرصه في نفس الوقت على النظام الجمهوري القائم في كل من

١- راجع بحث الدكتور فتنح الخترش عن حركة حامد بن رفاة .

٢- راجع كتابنا : الولايات المتحدة والمشرق العربي «الكويت ١٩٧٨» الفصل الأول .

٣- عن تفصيلات هذا المشروع راجع بحثنا «مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية» حويليات كلية الآداب - جامعة الكويت - الحولية الخامسة - الرسالة الثالثة والعشرون «١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ» .

ومن أسباب اهتمام ابن سعود بمشروع سوريا الكبرى أنه كان يعتبر وادي سرحان التابع للأردن جزءا من أملاكه وأنه كان حريصا على سلامة خط التايلاين وأنه كان عليه أن يتفاوض حول رسوم المرور وعقد اتفاقية عامة حول مرور النفط إلى صيدا . وما يجدر ذكره أن اتفاقية التايلاين لم توقع إلا في صيف عام ١٩٥٠ .

سوريا ولبنان وذلك رغبة منه في عرقلة سيطرة الهاشميين على المشرق العربي . والتقت اتجاهات ابن سعود مع اتجاهات مصر التي أدركت أن مصلحتها القومية تقتضي حصار الهاشميين والحيلولة دون ظهور كتلة إقليمية من القوة بحيث تسعى إلى عزلها وتحديها في المشرق العربي ومن ثم عملها على الحيلولة دون وقوع سوريا تحت طائلة نفوذ بغداد أو عمان، خاصة وأن فاروق ملك مصر كان يتطلع إلى زعامة العرب وتكريس سيطرة مصر على الجامعة العربية، ومن ثم اعتراضه على المشروع الذي وجد فيه خطرا على طموحاته وعلى زعامة بلاده للوطن العربي . أما سوريا فإن نتائج انتخابات يوليو التي فازت فيها الكتلة الوطنية بزعامة شكري القوتلي قد سجلت ضربة قوية لطموحات الهاشميين . وكان القوتلي، الذي تولى رئاسة الجمهورية السورية، قد أقام علاقة وثيقة مع آل سعود نتيجة للوكالة التجارية التي اضطلعت بها أسرته في دمشق لحساب السعوديين . كما سعى إلى حماية الجمهورية السورية الوليدة من حكم عبدالله الذي ارتبطت بلاده ببريطانيا بالتزامات حدت من حريتها وسيادتها وأبدى هو وزعماء الكتلة الوطنية خشيتهم من أن تسري هذه الالتزامات على سوريا ولبنان، ومن ثم تمسكهم بالنظام الجمهوري وبدمشق عاصمة لدولتهم . وهكذا توطدت العلاقات بين ابن سعود والقوتلي وفاروق بحيث تشكلت في داخل الجامعة العربية جبهة مناوئة للهاشميين (١) فسرتها الدوائر العراقية على أنها محاولة من جانب مصر والسعودية لعزل العراق . كما قام الملك عبدالعزيز بتوزيع الأموال على بعض الدروز وزعماء القبائل بهدف دعم المعارضين للمشروع في سوريا، ولفت نظر المسؤولين البريطانيين إلى «معلومات يعتد بها» مفادها أن حكام شرق الأردن والعراق يبدلون كل ما في وسعهم لتشكيل كتلة عربية شمالية تضم سوريا والعراق وشرق الأردن، وأن خروج مثل هذه المشروعات إلى حيز التنفيذ يشكل تهديداً له، وأضاف أن مصدر قلقه هو سلوك بعض الموظفين البريطانيين الذين كانوا يساندون الحركة بانفاق الأموال وجعل الناس يعتقدون أن الحكومة البريطانية تعضدها . إلا أن الحكومة البريطانية نفت وجود أي تأمر من جانب موظفيها لإنجاح حركة سوريا الكبرى، وعزت شكوى ابن سعود إلى مخططات الرئيس شكري القوتلي . (٢)

١- شهد عام ١٩٤٥ اقتراحا بقيام تحالف بين مصر والسعودية وسوريا إلا أن بريطانيا اعترضت عليه باعتباره يشكل محورا داخل الجامعة العربية .

[F.O. 371\ 52426, no. 129 jedda to F.O. dated 3-4-46]

2- F.O 371\ 52355, F.O. to jedda, dated 18- 9- 46.

أرنست بيفن ومشروعات الدفاع المشترك :

وكان قيام محور الرياض - القاهرة - دمشق في مواجهة محور بغداد - عمان الهاشمي من الأسباب التي أدت إلى شلل الجامعة العربية بحيث خابت الآمال التي علقها بريطانيا عليها - فبدلاً من توفيرها إطاراً لتكثيل المشرق العربي تحت النفوذ البريطاني أضحت سجلاً للخلافات المتزايدة بين الهاشميين وخصومهم . لهذا أثرت بريطانيا أن تتولى بنفسها مباشرة مسؤولية الدفاع عن مصالحها وجعل مشروعاتها الاستراتيجية تتمحور حول سلسلة من المعاهدات الدفاعية الثنائية بينها وبين كل دولة عربية على حدة . وفي أكتوبر ١٩٤٦ عقد أرنست بيفن - وزير الخارجية العمالي البريطاني - مؤتمراً واسع النطاق حضره القادة العسكريون والدبلوماسيون والمستشارون العاملون في حقل الشرق الأوسط وبلغهم بأن تعديل خطط بريطانيا الأبراطورية يقتضى سحب القسط الأكبر من القوات البريطانية من الأراضي العربية في مقابل أن توقع الدول العربية معاهدات تضمن للقوات البريطانية العودة في حالة الحرب أو خطر الحرب الداهم ، ولو أن حكومة العمال أبدت من ناحية أخرى كل الدلالات على تمسكها بالمواقع البريطانية التقليدية التي جعلت بريطانيا تنفرد جيلاً من الزمان بالهيمنة على شؤون الشرق الأوسط . وقد أوضح بيفن خطته الخاصة للدفاع عن الشرق الأوسط على الوجه التالي (١) :

« يجب تصور الدفاع عن الشرق الأوسط في إطار مشترك يؤكد المسؤوليات المشتركة لكل دول الشرق الأوسط في أن يلعب كل منها دوره في التصور الاستراتيجي بما يتناسب مع وضعه . ولكن حتى نكون على يقين بصدد أي تسهيلات محددة نحتاجها وبأي خدمات محددة نقدمها كل دولة على حدة ، فمن الواجب أن تنص على ذلك اتفاقية ملزمة بين المملكة المتحدة والدولة المعنية . وقد لا يتحمس العرب إلا لخطة دفاع مشترك ضخمة وفعالة تعقد بين الدول العربية مجتمعة وبين المملكة المتحدة . إلا أننا نخشى ألا تتمخض المفاوضات الجماعية عن شيء . ونحن لانرغب في التفاوض مع الجامعة العربية بهذا الصدد لأنها منقسمة على نفسها بصدد الشؤون العربية العامة باستثناء ما يتعلق منها بمصر وفلسطين . ونحن غير متحمسين لعمل شيء من شأنه أن يؤدي إلى استدامة وجود هذه الجامعة . يضاف إلى هذا أن الشعور القومي العربي سيؤثر في أي نوع من المفاوضات المشتركة ، وستشعر الدول الصديقة بأنها ، لمسائل تتصل بالكبرياء ، ملزمة بأن تتخذ منا موقفاً تحده الأغلبيّة أو أقوى الدول سياسياً . أما الدول الساعية إلى التهرب من مسؤولياتها أو التي قد نطالبها بتسهيلات خاصة فيمكنها رفض مطالبنا بأن تذهب إلى أن نظام الدفاع المشترك يلغي الترتيبات الفردية . وحتى يمين وقت حسم

المشكلة الفلسطينية فمن المحتمل ألا يمكننا إجراء محادثات دفاع مع العرب دون مساس بموقفنا المحايد بين العرب واليهود».

وقد أثر بيفن تسوية العلاقات المصرية - البريطانية بادية ذي بدء لما لذلك من تأثير على الدول العربية الأخرى . إلا أن المفاوضات المصرية - البريطانية تعثرت بسبب إصرار المصريين على الجلاء الناجز ووحدة وادي النيل - ومن ثم اتجاه بيفن إلى التوصل إلى ترتيبات الدفاع المشترك مع دول عربية أخرى - وفي مارس ١٩٤٦ وقعت بريطانيا مع شرق الأردن معاهدة شبيهة بالمعاهدة المصرية - البريطانية الموقعة في عام ١٩٣٦ والمعاهدة البريطانية - العراقية الموقعة في عام ١٩٣٠ . وقد نصت المعاهدة الأردنية - البريطانية على «التعاون في الدفاع المشترك» في حالة الحرب أو التهديد بالحرب وعلى السماح للقوات البريطانية بالبقاء في الأراضي الأردنية وقت السلم والحرب على حد سواء . مع قيام ضباط بريطانيين بمواصلة تدريب الجيش الأردني الذي كان يتلقى معونة من الحكومة البريطانية . (١) ثم فضل بيفن إنهاء المفاوضات مع العراق قبل أن تستأنف المفاوضات المصرية - البريطانية .

معاهدة بورتسماوث «جبر - بيفن» :

وقد اقترح العراق وجوب وضع خطط الدفاع عن الشرق الأوسط على أساس مفهوم المسؤولية المشتركة بين دول المنطقة وبين بريطانيا - فأكد رئيس الوزراء العراقي صالح جبر أن الدفاع عن العراق لا يمكن أن ينفصل عن الدفاع الاستراتيجي عن الشرق الأوسط ككل ، وحث على أن تدرس بريطانيا مسألة تنسيق الدفاع عن المنطقة وأن تعد كل الدول العربية للاشتراك فيه ، ووعده في حالة تعاون بقية دول الشرق الأوسط بأن يلعب العراق دوره . ويرجع الخاح الحكومة العراقية الشديد على قبول مبدأ المسؤولية المشتركة في الدفاع عن الشرق الأوسط إلى إحساسها بالحرج الشديد نتيجة لكون العراق «بالإضافة إلى الأردن» هو الذي كان يواصل منح تسهيلات عسكرية خاصة لبريطانيا في الوقت الذي أنهت فيه دول عربية أخرى ، أو كانت تحاول إنهاء مثل هذه الترتيبات الخاصة المعقودة مع بريطانيا وفرنسا - هذا في الوقت الذي أثرت فيه بريطانيا تجنب الإشارة إلى الجامعة العربية خشية المزايدات التي كان من المتوقع أن تتخذ شكلا معاديا لبريطانيا بسبب متاعبها في فلسطين .

١- جرى تعديل هذه المعاهدة بعد سنتين ، ونص التعديل على تحديد تحريك القوات البرية والجوية البريطانية في وقت السلم .

وفي ١٠ يناير ١٩٤٨ جرى التوقيع على المعاهدة البريطانية - العراقية الجديدة في ميناء بورتسواوث البريطاني. وكانت هذه المعاهدة تنص على التحالف بين الطرفين على أساس استقلال العراق التام والمساواة بين الطرفين - وبمقتضاها تعهد الطرفان بأن لا يقوم أحدهما في سياسته الخارجية بعمل لا يتماشى مع التحالف أو قد يخلق صعوبات للطرف الآخر. كما نصت، في حالة اشتراك أحد الطرفين في حرب، على أن يبادر الطرف الآخر إلى مساعدته بمقتضى الدفاع المشترك وتخلت بريطانيا للعراق عن مطاري الحبانية والشعبية في أوقات السلم، على أن يتقرر استعمالهما بالتنسيق الذي تظطلع به هيئة دفاع مشترك، كما تقرر أن تبقى هيئة فنية بريطانية في العراق للتأكد من فعالية تشغيل المنشآت والعتاد وأن يواصل العراق الاعتماد على بريطانيا وحدها فيما يتعلق بالتدريب العسكري والأسلحة. ورغم ذلك فحين نشر نص المعاهدة في ١٦ يناير ١٩٤٨ أثار مظاهرات حادة في بغداد وغيرها من المدن العراقية سقط خلالها بعض الضحايا - وفي ٢٧ يناير قدم صالح جبر استقالته ولم يجزؤ مسؤول عراقي على إبرام المعاهدة.

ولم يتردد «الملك» (١) عبدالله في لفت نظر بيفن إلى تأثير مصر والصحافة المصرية السيء على الموقف في العراق وذهب إلى أن الجامعة العربية كانت من وراء المتاعب القائمة بين بريطانيا ودول الشرق الأوسط. ورغم أن بيفن وافقه على ملحوظته الخاصة بمصر، إلا أنه، فيما يتعلق بالجامعة العربية، أقر حتمية نوع ما من الوحدة بين الدول العربية واقترح قيام نوع من التعاون بين الأردن والمملكة العربية السعودية، وذلك لأنه كان يرى أن تفوق مصر في شؤون الجامعة راجع إلى خشية كل من السعودية وسوريا لمخططات الملك عبدالله واعتقادها بأنها ملزمتان بتبرير مساندة مصر لحمايتها - فإذا ما اختفت هذه المخاوف لن تكون لدى أعضاء الجامعة العربية الأخرى حاجة للتسليم بزعامة مصر، بحكم أن الدول الأخرى ستكون في هذه الحالة قادرة تماما على الوقوف على أقدامها وأن تحكم على كل مسألة حكما مجردا. كما كان بيفن يعتقد أن انعدام العلاقات الطيبة بين «أخلص أصدقائنا في الشرق الأوسط» (أي ابن سعود وعبدالله) كان يشكل عائقا تجب إزالته - فإذا ما أمكنهما أن يتعاونتا تسنى لهما مقاومة «أولئك الذين يودون استخدام الجامعة العربية لخدمة مصالحهم بوجه عام وتعكير صفو العلاقات بين بريطانيا والدول العربية بوجه خاص». (٢) ولم يدرك بيفن أن صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين في نوفمبر ١٩٤٧ قد أدى إلى إزدياد شكوك مصر والسعودية في أن الملك

١- تحولت شرق الأردن طبقا لمعاهدة ١٩٤٦ من إمارة لمملكة.

2- F.O. 816\ 112, no. 76, Bevin to Kirkbride, dated 7-2-248.

عبدالله يود استغلال الموقف لصالحه بضم القسم العربي من فلسطين، ولو أن ممثل بريطانيا في جده عزا معارضة ابن سعود للتقسيم إلى خشيته أن يتمخض عن نمو قوة الهاشميين بتوسعهم على حساب فلسطين. أما الحكومة البريطانية فقد اعتقدت أن معارضة ابن سعود للتقسيم ليست من القوة بمكان وكذلك الحال بالنسبة إلى سوريا ولبنان وشرق الأردن ومصر والعراق وأن حكومات هذه البلدان - باستثناء السعودية - لم تكن من القوة بحيث يمكن للمعارضة الداخلية أن تتهمها بخيانة القضية العربية وبالتالي كان يمكنها أن تطيح بها. (١)

ابن سعود والدفاع المشترك :

وقد أثر مصير معاهدة بورتسميث تأثيراً سلبياً على المفاوضات التي جرت لإقناع الملك عبدالعزيز بالموافقة على توقيع معاهدة دفاع مشترك. فهو بادىء ذي بدء كان يرى أن بريطانيا قد منحت أشكالاً مختلفة من المساعدة العسكرية للأردن والعراق، عدويه التقليديين، وأن من قبيل الإنصاف أن تقدم له نفس المساعدة (٢). ولو أنه من ناحية أخرى شكاً من نقض العراق للوعد الذي سبق له أن قطعه للجامعة العربية حين عقد اتفاقيات - ومنها اتفاقه مع الأتراك - دون التشاور مع أعضاء الجامعة الآخرين؛ كما شكاً من الصعوبات التي يواجهها العراق وقدم للسفير البريطاني قصاصات من الصحف البغدادية الصادرة منذ وقت قريب ليثبت أن العراق لا يزال يهاجمه. (٣)

وكانت اقتراحات بريطانيا فيما يتعلق بالاتفاق الجديد مع المملكة العربية السعودية تنص على أن تتعهد هي في مقابل التسهيلات الاستراتيجية التي توفرها السعودية بمساعدتها في ظروف معينة على الوجه الذي لا يفرض عليها أن تطالب ابن سعود بوجود هيئة تشغيل بريطانية في أوقات السلم مع احتمال أن تطلب منه - حين نشوب الحرب - أن تستعمل موانئه ومطاراته وكذلك التسهيلات التي تؤكد صيانتها بما فيه الكفاية في أوقات السلم. وحين استطلعت بريطانيا رأي واشنطن بشأن مشروع المعاهدة كان رد هذه الأخيرة أنها ترى أن عقد معاهدة مع السعودية - بعد التوصل إلى اتفاق مع العراق - سيكون له أثر فعال لدى المصريين فيما يتعلق بإعادة النظر في المعاهدة المصرية - البريطانية، وأن المعاهدات التي تتمشى مع هذه الخطط

1- Cabinet Papers, 127\180, copy [Secret] memorandum on Arabjewish Relations, dated 30-7-46.

2- ibid, 21\2086 [[Top secret], Cos 268 {o} dated 22-12-47. note by the secretary {Ministry Of Defenct}, and Annex of a letter from F.O. to the Secretary of the chiefs of staff committee, dated 17- 12- 48.

3-F.O 905 ,78.no.16.Jedda to F.O. dated 16-1-48.

العامة بين بريطانيا والدول العربية تنسق مع مصلحة الولايات المتحدة (١) . كما أبدت واشنطن مشاركتها لبريطانيا في الرغبة في المحافظة على أمن الشرق الأوسط والدفاع عن استقلال كل دول المنطقة، بما فيها السعودية، وتماية أراضيها، وبالتالي فإنها أبدت عطفها على الترتيبات الأمنية التي كان يجري التشاور بشأنها بين السعودية وبريطانيا وفق الشروط الآتية :

١- أن تعتبر الحكومة السعودية مثل هذه الترتيبات في مصلحتها .

٢- ألا تتنافى هذه الترتيبات مع الاتفاقية الأمريكية - السعودية الخاصة بقاعدة الظهران . (٢)

٣- ألا تعرقل مثل هذه الترتيبات التطور الحر للعلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية بين الولايات المتحدة والسعودية .

٤- أن تتماشى مثل هذه الترتيبات مع ميثاق الأمم المتحدة (٣) .

أما مكتب الشرق الأوسط البريطاني في القاهرة فقد اقترح خلال المفاوضات أن تقصر بريطانيا التزاماتها في أي معاهدة على الحالات التي تتعرض فيها السعودية أو الأردن للهجوم، على اعتبار أنه كان لا يمكن تجاهل احتمال نشوب القتال بين هذين البلدين ولأن بريطانيا قد توضع في موقف حرج إذا ما قامت السعودية - مثلاً - باحتلال معان والعقبة - وفي مثل هذه الحالة يكون بإمكان الحكومة الأردنية أن تذهب إلى كونها قد هوجمت وأن تطلب مساعدة بريطانيا، في الوقت الذي قد تطلب فيه الحكومة السعودية المساعدة نفسها على اعتبار أنها أصبحت «مشتبكة في حرب» (٤) .

وأخيراً تبلور مشروع المعاهدة البريطانية - السعودية على الوجه التالي :

١- إذا ما أدى خلاف بين الطرفين المتعاقدين ودولة ثالثة إلى نشوء موقف يتضمن احتمال

1- Ibid no .27, F.O. to jedda (Tosecret),dated 17-1-48.

نصت هذه الاتفاقية على أن تتمتع الولايات المتحدة بمطلق السيطرة على قاعدة الظهران الجوية حتى مارس ١٩٤٩ «أي بعد مضي ثلاث سنوات من انتهاءها في ١٥ مارس ١٩٤٦ - وبالتالي فإذا ما قررت الحكومة السعودية رغبتها في تشغيل القاعدة بنفسها أو أن تتسلمها من الأمريكان، فإنها تلتزم بعدم تأجيرها لأي طرف ثالث لمدة عشر سنوات . وكان السبب في إدراج هذا الشرط أن الحكومة الأمريكية كانت قد أنفقت أموالاً طائلة في بناء المطار وأن الكونجرس كان لابد وأن الكونجرس كان لابد أن يرفض تأجيره بصورة مباشرة لأي طرف آخر .

F.O.905٧8,no.27,F.O. to Jedda, dated 20 - 1- 48 and no. 30 , Jedda to F.O.

F.O., dated 22 -1- 48 and despt. dated 20-11-48.

3-F.O.٩05٧9, enclousre in no.. 39 dated Jedda, 26- 2- 48 and copy Jedda aide- memoire.

4- F.O. 905٧8,no.4 BMEQ to jedda, dated 81- 1- 48.

قطع العلاقات مع هذه الدولة ينسق الطرفان المتعاقدان فيما بينهما لحسم هذا الخلاف بالطرق السلمية وفقا لميثاق الأمم المتحدة وأي التزامات أخرى صالحة للتطبيق .

٢- أما إذا اشتبك أحد الطرفين في حرب فعلى الطرف الآخر أن يبادر إلى مساعدته من قبيل الدفاع المشترك . وفي حالة تهديد داهم بنشوب الحرب يبادر الطرفان إلى تنسيق إجراءات الدفاع .

٣- لاشيء في المعاهدة يمس الحقوق والالتزامات المترتبة على ميثاق الأمم المتحدة بالنسبة إلى أي من الطرفين أو على أي موثيق أو معاهدات دولية قائمة .

و حين اكتمل مشروع المعاهدة السعودية - البريطانية كان يكاد يشبه معاهدة بورتسواوث مع اختلافات شكلية بسيطة (١) . وفي الوقت الذي كان فيه السفير البريطاني يستعد لمغادرة جدة إلى الرياض ترامت إلى المملكة العربية السعودية أنباء الأحداث الدامية التي جرت في بغداد، وجعلت الملك عبدالعزيز يحجم عن المصادقة على مشروع معاهدته مع بريطانيا لما يكتنفه من تعقيدات . في الوقت الذي اعتبر فيه أحداث العراق دليلا على أن الشعوب العربية ككل ترفض مثل هذه الترتيبات الدفاعية (٢) - إذ إن المصريين كانوا هم الآخرون قد رفضوا مشروع صدقي - بيفن المشابه بعد أن شهدت القاهرة هي الأخرى أحداثا لاتقل عنفا عما شهدته بغداد . وصرح ابن سعود للسفير الأمريكي بأن مشروع المعاهدة السعودية - البريطانية كان أشبه ما يكون بتنازله عن سيادته وأنه شديد الشبه بالمعاهدة العراقية المرفوضة . ولكنه أعرب له عن أمل في أن تستمر الصداقة الوطيدة القائمة بين السعودية وكل من بريطانيا والولايات المتحدة من أجل الدفاع والمساعدة المتبادلين . ثم قدم الأمير فيصل إلى السفير البريطاني في جدة مذكرة الملك (٣) التي أشار فيها إلى أن علاقاته مع الحكومة البريطانية ستستند إلى الصداقة دون حاجة إلى معاهدات ، وإلى أنه قد تعاون مع بريطانيا في الماضي بغض النظر عن أي معاهدة . وتطرقت المذكورة إلى معاهدة جدة باعتبارها أساسا للعلاقات بين البلدين أوضحت أن القصد من المراجعات التي قام بها هو «تسهيل الدفاع عن بلادنا والمحافظة على الأمن الداخلي وذلك بتوفير السلاح الحديث والمهمات العسكرية التي تستلزمها بلاد واسعة الأطراف كبلادنا وذلك أسوة بما تقدمه الحكومة البريطانية لبلاد المجاورة» . وعبرت عن أمل عبدالعزيز في أن «تستعمل

1- F.O. 905\78,no.30,Bevi to Jedda, dated 21- 1- 48 and no. 1 date 1-4- 48.

2- F.O. 905\79,no. 37 Jedda to F.O. , dated 31 -1-48 and no . 43 dated 1-2-48. also despt. from Jedda dated 5-2-48 and no. 26 frof Jedda of the same date.

3- Ibid, no. 39, jedda to F.O. dated 26 - 2- 48.

الحكومة البريطانية نفوذها للطيب للإبقاء على السلم وحسن التفاهم مع من لها علاقة به من الحكومات المجاورة» ، وأشارت إلى تعاونه مع الحكومة البريطانية خلال الحربين العالميتين في سبيل استتباب الأمن في الشرق الأدنى ودفع الأخطار عنه وأكدت الصداقة المتينة التي تربط الملك بالحكومة البريطانية . وقد فهم السفير البريطاني مما صرح له به الأمير فيصل بعد أن سلمه المذكورة أن الملك كان ضد أي شكل من أشكال المعاهدات حتى ولو وقعت معاهدات مع بلدان عربية أخرى(١) .

أما السفير البريطاني فقد حاول أن يفسر لحكومته رفض الملك السعودي للمشروع بأسباب أخرى منها قصر الوقت ما بين إعلان المقترحات البريطانية وبين تقديم مشروع المعاهدة - فقد ترامى إلى سمع الملك السعودي أن المحادثات الخاصة بالمعاهدة البريطانية - العراقية قد استغرقت مدة تزيد على ستة شهور، ومن ثم إحساسه بأنه عومل بقدر من الاحترام يقل عما حظى به العراقيون(٢) ، وأعاد السفير إلى الأذهان أن سير أندرو رايان Andrew Rayan قد أجرى مفاوضات استغرقت أكثر من عامين (١٩٣٤ - ١٩٣٦) من أجل تمديد أجل معاهدة جدة . كما أشار إلى أن عداء عبدالعزيز للأسرة الحاكمة في شرق الأردن والعراق قد شكل كل وجهات نظره الخاصة بالمعاهدة للدرجة التي أثارت دهشته وكان يصعب إدراكها على من لم تتح لهم فرصة الإصغاء إلى تصريحات الملك السياسية في الماضي القريب(٣) . هذا إلى اعتقاده بأن الملك يتردد باستمرار في توقيع التزامات رسمية طويلة المدى كالمعاهدات ، خاصة وأنه كان يعتبر نفسه عربيا بسيطا يعرف من هم أصدقاؤه الذين عليه التمسك بهم وأنه ينفر من الغموض القانوني والخلافات التي تستغرق وقتا طويلا حول الكلمات والصيغ وأن إدراكه لعقلية رعاياه ، وخصوصا «العلماء» من رجال الدين الذين كان يحرص على استطلاع آرائهم كل أسبوع : كان يقوى نفوره من مثل هذه المعاهدات . وشك السفير في احتمال أن يكون الملك قد وقع تحت تأثير حملة منظمة لإفشال توقيع المعاهدة شنها مستشاروه وأشخاص آخرون منهم وزير الداخلية

1- Ibid, no .48, Jedda to F.O. dated 2-2-48.

٢- أبدى الملك عبدالعزيز آل سعود نفوره الصريح من أن يعامل على قدم المساواة مع العراقيين ، وعبر عن انزعاجه من فحوى البنود الاستراتيجية وتفضيله توسيع صلاحيات البعثات العسكرية والجوية والموجودة في المملكة في ذلك الوقت خاصة أنه أبدى موافقته المبدئية على قبول الأسلحة التي كان البريجادير بيرد Baird قد أشار إلى صلاحيتها دون أن تكون جديدة تماما . أيضا

(Ibid, no. 43 dated 1-2-48.)

F.O. 905\ 78, Jedda to F.O., dated 29-1-48.

3- F.O.905\ 79, no. 26. {top secret}.A.C. Trott to bevin, dated 5-2-48

السوري محسن البرازي والشيخ جمال الحسيني «وكانا في الرياض في ذلك الوقت» - هذا على الرغم من أنه لم يعر التفاتا إلى آراء الحاج عبدالله فليبي - مستشار الملك عبدالعزيز البريطاني - الذي كان يعتبر المعاهدة البريطانية - العراقية الجديدة شديدة التعسف والإضرار بالعراق ويردد ذلك في كل مناسبة وذلك على اعتبار أن الملك لم يكن يقيم وزناً كبيراً لأرائه (١). أما مستشار الملك فؤاد حمزة - فقد كان شديد الحذر، في حين لاحظ السفير البريطاني أن الأمير فيصل لم يكن شديد الحماسة للمعاهدة. وكان حافظ وهبه - السفير السعودي في لندن - قد نصح السفير بأن يؤكد للملك أنه سيعامل على قدم المساواة مع العراقيين، ومن ثم كان مشروع المعاهدة شديد الشبه بمعاهدة بورتسماوث. إلا أن هذه النصيحة قد أتت بعكس المقصود منها - فحين استمع الملك إلى ما قاله السفير هاجم العراقيين هجوماً شديداً، وقال إنه لم يتوقع على الإطلاق أن يعامل معاملة العراقيين. (٢)

استمرار الشكوك الهاشمية - السعودية :

وبعد أن رفض الملك مشروع المعاهدة أعرب للسفير الأمريكي عن أن تستمر الصداقة والتعاون بين بلده وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا دون ارتباط بأي معاهدة. كما بين له أنه يفضل - إذا ما كان عليه أن يعقد أي معاهدة - أن تكون على نمط معاهدة جدة، وصرح بأنه قد مال إلى نوع من التحالف أو الاتفاق بين العرب جميعاً وبين كل من الولايات المتحدة وبريطانيا من أجل الدفاع والمساعدة المشتركة - هذا على الرغم من أن يقينه من مدى صعوبة التعامل مع كل العرب في نفس الوقت ومن أنه لم يكن قد توصل إلى أي خطة محددة، وإن بدا له أن مثل هذا الحل يوفر الأمل الأمل في قيام حلف فعال (٣). ومن ناحية أخرى طالب عبدالعزيز بتقوية جيشه بتزويده بمزيد من الأسلحة والعتاد الحربي وتوفير بعض الضمانات ضد الهاشميين، وترك لها تقرير كيفية تلبية هذين المطلبين (٤).

وهكذا كان خوف عبدالعزيز من مخططات الهاشميين شغله الشاغل سواء خلال التفاوض مع بريطانيا حول معاهدة الدفاع المشترك أو بعد رفضه لها. ومما يدل على هذه الشكوك أن

١- نفس الوثيقة السابقة. عن تفاصيل علاقات فليبي بابن سعود راجع :

E. Monroe, philby of Arabia {Faber and Faber, London, 1973}.

2- . F.O. 905\ 78, jedda to F.O., dated 29- 1- 48.

3- F.O. 905\ 79, no.33. jedda to F.O., dated 26-1-48.

4- Ibid, no. 26. supra.

سوريا - قبل حرب فلسطين - أبدت تخوفها من عزم الملك عبدالله على تحقيق مشروع سوريا الكبرى بدءاً بضم القسم العربي من فلسطين، في حين تخوف عبدالله من طلب الملك السعودي أن تخصص له منطقة في شرق الأردن لكي يحشد فيها قواته استعداداً لدخول فلسطين، وخشى أن يكون ذلك جزءاً من مؤامرة يدبرها عبدالعزيز وشكري القوتلي لتقسيم شرق الأردن، ومن ثم استنجاهه بالحكومة العراقية لكي ترسل قواتها إلى شرق الأردن لإحباط هذه المؤامرة (١). إلا أن الحكومة البريطانية استغلت نشوب حرب فلسطين بين العرب واليهود لكي تتوصل إلى مصالحة بين عبدالعزيز وعبدالله. وكان من نتيجة ذلك أن قام العاهل الأردني بزيارة إلى السعودية استغرقت أربعة أيام (٢٧-٣٠ يونيو ١٩٤٨). وقد شعر السفير البريطاني بأن الزيارة قد أصابت نجاحاً كبيراً، إذ رحب بها الرأي العام في جدة، بل في كل المملكة العربية السعودية وتنبأ بأن يكون لها أثر ممتاز بالنسبة إلى مستقبل المملكة، ودلل على ذلك بأن أحد التجار الحجازيين ممن دأبوا على توجيه النقد إلى النظام السعودي صرح له بأن الزيارة قد وضعت حداً للاتجاه الساعي إلى فصل الحجاز عن نجد، وبالتالي فإنها ستفسح المجال لتطور البلاد على أساس سليم من الوحدة. وقد رجح السفير أن تكون دوافع الزيارة كالاتي:

- ١- إدراك ابن سعود أن بريطانيا تسعى إلى مصالحة هاشمية - سعودية.
- ٢- طالب عدد من رجال القبائل بالتوجه إلى فلسطين، إلا أن غموض موقف الحكومة الأردنية حتى ذلك الوقت قد حال دون رحيلهم.
- ٣- احتمال أن يكون الملك عبدالعزيز قد أحس بتقدم سنه وخشى أن تدركه الوفاة قبل عبدالله الذي قد يتخذ مع الملك السعودي الجديد فيما يتعلق بالحجاز موقفاً أشد صلابة من موقفه مع عبدالعزيز - وبالتالي فإن مثل هذه المصالحة المبكرة توفر ضماناً ضد هذا الاحتمال.
- ٤- إحساس ابن سعود بضعف قواته المسلحة، وبخاصة إذا ما قورنت بالفرقة العربية «الجيش الأردني».
- ٥- توقع عبدالعزيز أن تؤدي المصالحة إلى تلقيه أسلحة وعتاد ومدربين انجليز لجيشه ثم لقواته الجوية.

٦- احتمال أن تكون حرب فلسطين قد أدت إلى هذا التحول - فربما أدرك ابن سعود أن احتمال توسع الملك عبدالله صوب فلسطين وسوريا يفوق احتمال توسعه صوب الجنوب - ومن ثم ما استنتجه السفير من أن ابن سعود قد لايهم بذلك جدياً إذا ما حدث طالما ترك الملك

١- خيرية قاسمية، فلسطين في مذكرات القاوقحي، ج٢ «منظمة التحرير»

عبدالله الحجاز وشأنه(١). ومن هذا المنطلق كان يبين يسعى إلى أن تعزز الحكومة المصرية المصالحة السعودية – الأردنية وأن تشجع ابن سعود على الموافقة على استيلاء شرق الأردن على القسم العربي من فلسطين حيث إن ذلك لا يتضمن خطراً على مصالح ابن سعود أو أي دولة عربية أخرى(٢).

إلا أن هذه التوقعات البريطانية كانت من قبيل الإفراط في التفاؤل - فقد ازدادت مخاوف ابن سعود بعد أن ضم الملك عبدالله الضفة الغربية وتعرضت سوريا للانقلاب العسكري التي كانت تنذر بانضمام سوريا إما إلى العراق أو إلى شرق الأردن . لهذا سعى إلى تسخير نفوذه داخل صفوف الجيش السوري وخارجه لعرقلة المشروعات الهاشمية مما أذن بفشلها خاصة وقد وقفت مصر إلى جانب السعودية وتصدت للمشروعات الهاشمية . وفي محادثة جرت بين ابن سعود والسفير الأمريكي في ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ تعرض الملك للصعوبات التي كان يواجهها بها الهاشميون وبخاصة فيما يتعلق بمشروع الاتحاد بين سوريا والعراق ، وطالب الحكومة الأمريكية بأن تضمن تسمية حدود السعودية علناً . وكان رد السفير « ريفرز تشايلدز » "Rives child's" أن حكومته كانت قد بلغت العاهل السعودي شفها بأنها تعتبر تسمية حدود دولته مسألة شديدة الأهمية بالنسبة إلى مصالحها وأنها ستعتبر أن أي اعتداء عليها عملاً غير ودي - إلا أنه تلمص من الإدلاء بهذا التصريح علناً . (٣) أما الحكومة البريطانية فقد بلغت حكومة الولايات المتحدة بأنها سبق لها أن أكدت للحكومة السعودية في أغسطس ١٩٤٩ أنها ستسخر نفوذها للحيلولة دون لجوء دولة شرق أوسطية إلى القوة ضد دولة أخرى . وأبدت واشنطن استعدادها لأن تؤكد أنها ستواصل توضيحها للدول العربية المعنية أنها تعتبر أي دولة بعمل عدائي ضد دولة أخرى مناقضا لسياسة الحكومتين الغربيتين وللاستقرار المنطقة ولبادئ الأمم المتحدة . (٤) وقد بحث مؤتمر ممثلي الولايات المتحدة في الشرق الأدنى المنعقد في استنبول في أواخر عام ١٩٤٩ أ حسن سبل تهدئة مخاوف ابن سعود المستمرة من التطويق وجرى الاتفاق فيه على أن يعمل السفراء الأمريكيان في الدول المجاورة على الحيلولة دون نشوب موقف يهدد تمامية أراضي السعودية وأن يبلغوا واشنطن فوراً بنشوب مثل هذا الموقف ، وذلك على الرغم من أنهم لم يتبينوا حتى ذلك الوقت وجود أي موقف من شأنه أن يبعث على قلق السعودية في المستقبل القريب أو المنظور . كما اتفق جميع السفراء الأمريكيان على أن يكون هدف حكومتهم المستمر هو إنهاء العلاقات الوثيقة مع السعودية بوجه خاص . (٥)

1- F.O. 141\1291, no. 130, Jedda to F.O., dated 11-7-48.

2- Ibid, no. 146, F.O. to Cairo, dated 18- 1- 49.

3- F.O. 905\87, no. 214 {Confid.} Jeddah to F. O. , dated 27-11-49.

4- Ibid, no. 773 {cokfid.} F.O. to jedda, dated 4-12- 49.

5- Ibid, no. 7762 . F.O. to jedda, dated 4-12- 49.

أما الحكومة البريطانية فقد تجنببت أبداء أي رأي حول شكل العلاقات الوثيقة بين العراق وسوريا اللتين كانتا تتفاوضان حول الاتحاد بعد انقلاب سامي الحناوي - وكانت معاهدة ١٩٣٠ الموقعة بين بريطانيا والعراق تلزم كلا من لندن وبغداد بالتشاور الكامل والصریح حول السياسة الخارجية التي تمس مصالحهما المشتركة. وبين يفتن عدم استعداده للاشتراك في المفاوضات السرية الجارية بين العراق وسوريا وأنه يفضل اشتراك الحكومة الأمريكية في الرأي قبل أن تتطور الأمور وبأن المسألة تمس علاقات بريطانيا بفرنسا. وأفهم يفتن وزارة الخارجية الأمريكية أنه شديد الالتزام بسياسة بريطانيا المعلنة الخاصة بمعارضتها لاستخدام القوة في تحقيق الاتحاد بين سوريا والعراق ولكن دون أن تعترض على أي اتفاق ناتج عن الإرادة الحرة (١). كما رفض يفتن التدخل أو القيام بدور الوسيط بين سوريا والعراق من جهة وبين الحكومات التي تعارض المشروع من جهة أخرى وبين أن بإمكان البلدين أن ينفذا ما يريانه في صالحهما، على أن يمضيا في تنفيذ ما يتفق عليه بطريقة دستورية. (٢) ولكنه - من ناحية أخرى - كان يعتقد أن مخاوف ابن سعود لاستند إلى أي أساس خاصة وأنها كانت مطمئنة إلى أن العراق والأردن لا يخططان للقيام بأي عمل ضد السعودية وكانت مقتنعة بأن لدى العراق من الأسباب ما يدعو إلى الشكوى من الدعاية العدائية والاتهامات التي توجهها السعودية ضد سياسة العراق في سوريا (٣) وكانت الحكومة البريطانية قد أكدت له في أوائل أغسطس ١٩٤٩ بعد انتهاء أعمال مؤتمر سفرائها في الشرق الأوسط، أنها تعترض بشدة على لجوء أي دولة شرق أوسطية إلى استعمال القوة ضد دولة أخرى وأنها بطبيعة الحال ستسخر كامل نفوذها لاتخاذ كل الوسائل التي تكفل عدم حدوث ذلك. ولم يطمئن هذا التصريح ابن سعود الذي كانت ترى الحكومة البريطانية أنه لن يرضيه أي تأكيد مالم يوفر له ضمانة عسكرية كاملة.

وعلى أي حال فقد استرسلت بريطانيا في القيام بدور الحكم ما بين ابن سعود والهاشميين، في محاولة منها لضمان صداقة الطرفين المتنازعين خدمة لمخططاتها في المنطقة. إلا أن عبدالعزيز ظلت تراوده الشكوك التي جعلته لا يطمئن تماما إلى صداقة بريطانيا ويحتاط ضد مخططاتها بالمحافظة على محور القاهرة - دمشق - الرياض من ناحية وبتوثيق علاقاته بالولايات المتحدة الأمريكية من ناحية أخرى، خاصة وأن واشنطن قد أطرحت سياسة العزلة التي سارت عليها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ورمت بثقلها في سياسات الشرق الأوسط لكي تحافظ على مصالحها النفطية المتزايدة وتواجه المخططات الروسية بعد أن أحست بأن البنيان الذي أقامته بريطانيا في المنطقة في أعقاب الحرب الإعلامية الأولى يوشك أن يتصدع.

1- F.O. 141\ 1334, no. 210, F.O. to Alexandria, dated 28- 9- 49 and no. 1677 F.O. to Cairo, dated 5-10- 49.

2- Ibid, no. 1772, F.O. to Cairo, dated 17-10-49.

3- F.O. 905\87, no. 766, F.O. to Jedda, dated 2-12- 49.

ونستخلص مما سبق أن علاقات ابن سعود ببريطانيا وهي العلاقات التي بدأت بمعاهدة دارين «١٩١٥»، قد تطورت طبقاً للمتغيرات التي ألت بالمشرق العربي. فهو يلتزم بتعهداته دون أن يقيد يديه في العمل، ويمضي في توسيع أملاكه دون أن يصطدم بالمصالح البريطانية، مما جعله يتبوأ مكانة رئيسية في سياسات العالم العربي وبخاصة بعد سيطرته على الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز، مما جعل بريطانيا تسعى إلى كسب وده، بعكس ما كان عليه الحال في البداية حين سعى عبدالعزيز إلى الاحتباء بها في وجه المصاعب التي كانت تحيط بدولته الناشئة. وبين هذا وذاك نجده حريصاً على عدم التورط في سياسات الأحلاف البريطانية التي لم تجد قبولا لدى الرأي العام العربي وبخاصة في مصر والعراق - إذ انكشف للعرب وجه الاستعمار البريطاني القبيح والدور الشرير الذي قام به البريطانيون حين عملوا على تسليم فلسطين لليهود. وكل ذلك مما يدل على براعة عبدالعزيز السياسية التي أقامت مملكة شاسعة وعملت على المحافظة عليها دون أن يسلم قياده لهذه الدولة العظمى أو تلك.

الملحق (١)

نص مشروع معاهدة الدفاع المشترك السعودية البريطانية*

ديباجة :

المادة -١ :

سيكون سلام دائم وصداقة بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية وتستمر محالفة وثيقة بين الفريقين المتعاقدين الساميين وتقديسا لصداقتها وتفاههما الودي وعلاقتها الحسنة يتعهد كلا الفريقين المتعاقدين الساميين بأن لا يتخذ في بلد أجنبي أية موقف مخالف للمحالفة أو موقف قد يحدث صعوبات للطرف الآخر هناك .

المادة -٢ :

إذا نتج أي نزاع بين أحد الفريقين المتعاقدين الساميين وبين فريق ثالث وكان ذلك النزاع يؤدي إلى خطر حالة قطع العلاقات مع تلك الدولة فالفريقان المتعاقدان الساميان يتحدان معا لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية بمقتضى نصوص ميثاق الأمم المتحدة ونصوص أي تعهدات دولية أخرى قد يمكن تطبيقها على الحالة .

المادة -٣ :

إذا اشتبك أي الفريقين المتعاقدين الساميين في حرب رغما عن نصوص المادة ٢ من المعاهدة يأتي الفريق الآخر على الفور لمساعدته كتدبر دفاع تضامني خاضع دائما لنصوص المادة ٤ من المعاهدة الحالية وفي حالة تهديد عدواني وشيك يتحد على الفور الفريقان المتعاقدان الساميان على وسائل الدفاع اللازمة .

* كان هذا المشروع صورة طبق الأصل من معاهدة بوتسهاوث «جبر يفن» ونصه العربي وارد في ملف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O. 905\ 78 xc\A 29634.

المادة - ٤ :

لاشيء في المعاهدة الحالية يقصد منه أو سيقصد منه بأي حال من الأحوال الإجحاف بالحقوق والتعهدات التي تؤول أو قد تؤول إلى أحد الفريقين المتعاقدين الساميين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو بمقتضى أي اتفاقية دولية أو اتفاقيات أو معاهدات .

المادة - ٥ :

إن المعاهدة الحالية التي ملحقها جزء منها تلغى المادة ٢ من المعاهدة المبرمة في جدة في يوم عشرين من شهر مايو ١٩٢٧ ميلادية الموافق ليوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية وتبقى موادها الباقية مع الكتب والمذكرات المفسرة أو غير المسرة المتبادلة في سنة ١٩٢٧ وسنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٣ بصده سارية المفعول حسب ما أعد له بإجراء تبادل المذكرات بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحدة والحكومة العربية السعودية في اليوم الثالث من شهر أكتوبر ١٩٤٣ .

الملحق (٢)

مسودة ملحق

المادة - ١ :

(أ) يعترف الفريقان المتعاقدان الساميان بأنه للمصالح المشتركة لكليهما يجب أن يكون صاحب الجلالة البريطانية في مركز يمكنه من القيام بتعهداته بمقتضى المادة ٣ من المعاهدة .

(ب) في حالة اشتباك أحد الفريقين المتعاقدين الساميين في حرب أو في حالة تهديد عدوا يطلب صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية من صاحب الجلالة البريطانية أن يحضر فوراً إلى البلاد العربية السعودية القوات اللازمة من جميع الأسلحة ويقدم لصاحب الجلالة البريطانية جميع التسهيلات والمساعدة في الأراضي العربية السعودية التي في مقدوره ذلك استعمال جميع وسائل المواصلات .

(ج) يتعهد صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية أن يمنح التسهيلات اللازمة

لبناء وصيانة مطارات ومنشآت عسكرية أخرى تلزم لتأمين الدفاع عن المناطق الحيوية في البلاد العربية السعودية .

(و) تراجع لجنة الدفاع المشترك المشار إليها في المادة ٤ من هذا الملحق الفريقين المتعاقدين الساميين فيما يختص بتعيين الأمكنة ونوع المطارات والمنشآت العسكرية المذكورة في الفقرة (ج) المذكورة أعلاه ويكون استعمال هذه المطارات والمنشآت العسكرية لأغراض مدنية أو تجارية خاضعا لتوصيات لجنة الدفاع المشترك .

(هـ) قد يدعو صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية وحدات قوات صاحب الجلالة البريطانية المسلحة فتستعمل هذه المطارات والمنشآت العسكرية باستشارة لجنة الدفاع المشترك على ضوء الظروف السائدة في ذلك الحين .

(و) يوافق صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية بالسماح لطائرات صاحب الجلالة البريطانية لتطير عابرة أراضي البلاد العربية ولحرية استعمال المطارات المذكورة في الفقرة (ج) أعلاه وذلك عندما تكون مارة ترانسيت .

(د) تستعمل قوات صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية المسلحة المطارات بالاشتراك والتعاون مع وحدات القوات المسلحة لصاحب الجلالة البريطانية كما قد توجد هناك .

(ح) لن يطلب من صاحب الجلالة البريطانية أن يدفع أي مصاريف عن استعمال قواته الجوية لأي مطار آخر في البلاد العربية السعودية .

المادة -٢ :

يقدم صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية على مصاريف القوات اللازمة لحراسة المطارات والمنشآت العسكرية المشار إليها في المادة ١ .

المادة -٣ :

ولكي تحصل القوات المسلحة للفريقين المتعاقدين الساميين على الفعلية اللازمة في التعاون كل مع الآخر .

(١) يقدم صاحب الجلالة البريطانية التسهيلات المناسبة في المملكة المتحدة وفي أي مستعمرة بريطانية أو محمية تديرها حكومة المملكة المتحدة لتدريب قوات صاحب الجلالة ملك

البلاد العربية السعودية المسلحة كما توصى بذلك من وقت لآخر لجنة الدفاع المشتركة .

(٢) يوجد صاحب الجلالة البريطانية وحدات عملية من قواته المسلحة لتعمل في عمليات تدريب مشتركة صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية المسلحة لمدة كافية في كل سنة .

(٣) يسمح صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية باستعمال المطارات والمنشآت العسكرية في البلاد السعودية لغرض هذا التدريب المشترك .

ولصالح الدفاع المشترك للمملكة المتحدة والبلاد العربية السعودية تعين لجنة استشارية دائمية مشتركة فوراً عند سريان مفعول هذه المعاهدة لتنسيق مسائل الدفاع بين حكومة المملكة المتحدة وحكومة البلاد العربية السعودية في نطاق المعاهدة الحالية وهذه الهيئة التي تعرف بأنها لجنة الدفاع المشترك الإنجلو عربية سعودية تتركب من ممثلين عسكريين أكفاء من الحكومتين بأعداد متساوية وعملها يشمل :

(أ) وضع خطط متفق عليها في المصالح المشتركة لكلا البلدين .

(ب) الاستشارات الفورية عند تهديد حرب .

(ج) تنسيق الوسائل لتمكين قوات أحد الفريقين المتعاقدتين الساميتين للقيام بالتزاماتها بمقتضى المادة ٣ من المعاهدة بما في ذلك تقديم التوصيات إلى الفريقين المتعاقدتين الساميين فيما يختص بإيجاد الأمكنة ونوع المطارات والمنشآت العسكرية في المادة ١ (ج) من هذا الملحق الاستفادة منها للأغراض المدنية والتجارية .

(د) الاستشارة بشأن تدريب القوات العربية السعودية وتقديم المعدات وتقديم لجنة الدفاع المشترك تقارير سنوية على ذلك وتوصيات لحكومتى الفريقين المتعاقدتين الساميين .

(هـ) الترتيبات بخصوص عمليات التدريب المشترك المشار إليها في المادة ٣ من هذا

الملحق .

المادة - ٥ :

يوافق صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية على أن يقدم إذا دعت الحاجة وعند الطلب جميع التسهيلات اللازمة لتحركات وحدات قوات صاحب الجلالة البريطانية عند مرورها ترانسييت عابرة البلاد العربية السعودية بمعداتنا وعتادها .

المادة - ٦ :

إذا نشأ أي خلاف فيما يتعلق بتطبيق أو تفسير هذه المعاهدة أو أخفق المتعاقدان الساميان في تسويته بالمفاوضات المباشرة يحال الخلاف إلى محكمة العدل الدولية إلا إذا اتفق الفريقان على طريقة أخرى لتسويته .

المادة - ٧ :

تبرم هذه المعاهدة ويسري مفعولها عند تبادل أوراق الإبرام الذي يأتي بأسرع ما يمكن بعد التوقيع وتبقى سارية المفعول مدة عشرين سنة من تاريخ سريان مفعولها وفي وقت بعد مضي خمس عشرة سنة من تاريخ سريان هذه المعاهدة يمكن المفاوضة في تعديلها بطلب من أحد الفريقين المتعاقدين الساميين وهو سبب تعاون الفريقين المتعاقدين الساميين المستمر للدفاع عن مصالحها المشتركة وأن مدة الخمس عشرة سنة وإذا لم تعدل المعاهدة الحالية في نهاية العشرين سنة فتبقى سارية المفعول إلى أن تمضي سنة واحدة من بعد أحد الفريقين المتعاقدين الساميين للآخر إعلانا بانتهائها عن الطريق الدبلوماسي .

لقد وقع مندوبون المفوضون على هذه المعاهدة ووضعوا اختامهم وهم يعتقدون صحتها .

الملحق (٢)

نص خطاب عدم مصادقة ابن سعود على مشروع المعاهدة مع بريطانيا*

* يوجد نص هذا الخطاب باللغة العربية في ملف وزارة الخارجية البريطانية :

F.O: 905\ 78 XC \ A 29634.

٢٠ ربيع الأول ١٣٦٢

٣١ يناير ١٩٤٨

تأكيداً للحديث الشفوي أحب أن تحيطوا الحكومة البريطانية الصديقة علماً بأن صداقتنا في الماضي كانت ولا تزال تنطوي دائماً على الإخلاص والوفاء كما أن صداقتها معنا كذلك لم تزل سائرة على هذه الروح الطيبة .

وإنه بالرغم من أنه لم تكن هنالك معاهدات تحالف في الماضي فإن موقفنا في الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية لاسيما في أشد الأيام حلقة معلوم لدى الحكومة البريطانية ولن يكون موقفنا في المستقبل بحول الله أقل من موقفنا في الماضي فإن صداقتنا مع الحكومة البريطانية أصبحت صداقة تقليدية سيتوارثها أولادنا من بعدنا إن شاء الله وستزيدها الأيام قوة ومثانة .

إن معاهدة جدة قد كفلت ونظمت العلاقات الودية بين حكومتينا وقد أثبتت الأيام قوة هذه المعاهدة وفائدتها والعبرة في المعاهدات هي النية الخالصة والإخلاص في التنفيذ والرغبة الصادقة في المحافظة على روحها .

إن المعاهدة التي قدمت إلينا لا تختلف مطلقاً عن المعاهدة العراقية الحديثة ولا يخفاكم أن وضع بلادنا السياسي والاجتماعي وموقعه الجغرافي يختلف تمام الاختلاف عن الأوضاع الحاضرة في العراق وغيرها . ولذا فيني لم أر مكاناً للبحث فيها لسيما بعدما وقع في العراق .

إن المراجعات التي قمنا بها إنما كان يقصد منها تسهيل سبيل الدفاع عن بلادنا والمحافظة على الأمن في الداخل وذلك بتوفير السلاح الحديث والمهمات العسكرية التي تستلزمها بلاد واسعة الأطراف كبلادنا وذلك أسوة بما تقدمه الحكومة البريطانية للبلاد المجاورة وأن تستعمل الحكومة البريطانية نفوذها الطيب للإبقاء على السلم وحسن التفاهم مع من لها علاقة بالحكومات المجاورة . وإلا فإن التعاون مع الحكومة البريطانية على استتباب الأمن في الشرق الأدنى ودفع الأخطار عنه قد قمنا به بما نملكه من الوسائل في الحريين الماضيتين وسيكون المستقبل خيراً من الماضي بحول الله وقوته . إن الصداقة المتينة التي بيني وبين الحكومة البريطانية والتي أوثقت عراها الحوادث لن تقوى العوادي إن شاء الله على النيل منها، وإني في الختام أؤكد لكم إني كعربي مسلم لا أنثني في كلمتي أو أحل بعهد قطعته على نفسي ، ، ،